لكن القصيدة تبقى منطقة اكتشاف للعالم . هكذا يدخل الشاعر وعيه وهو يصارع مادة هذا الوعي الاولى ، وتصبح القصيدة جدلا لعلاقة التداعي بالاحجام .

الطفولة — الموت

في مجموعته الشعرية الاولى — « كل داخل سيهتف لاجلي وكل خارج ايضا » ، كان سليم بركات يبحث عن لغته بوصفه تنصل الاطفال . لذلك كانت لغته متنصتة من الطفولة ومن انجاز الحركة الشعرية المعاصرة . وكان تنصل الاطفال يبحث في ذاكرته عن موحد للاوعي جماعي ، يأخذ اللغة والريف في وحدة مذهلة . كان شعره يقف على عتبة التحولات الادونيسية ، دون القدرة على الدخول في تحولات الطبيعة . فاكتفى بالتوحد فيها والامتداد اليها ، محاولا مزج السرد الشعري بالشعر الايقاعي — دينوكا — . انه في قصيدتيه الجديدتين ، يتابع محاولة التوحد هذه . لكن براءة الطفولة الاولى ، تلتقي بالحب ، فتقترب من منطقة الموت ، وتدخلها فيها صوت اللغة يصخب ، وكأنه محاولة لتنادي الموت ، او للهرب منه .

« حددت لك الانقاض على زاويتين فتقدم لتوحدنا الانقاض

لنفصل كل حياة ، تتناسل عن زمرتها ، ونصيح أمام عراء

ذكورتنا : انطلقي يا حبوات انطلقي بين ، فجاج الخوف ،

انتظرينا يا حبوات انتظري

نحن نحاذي الارض ، ونضربهما بفراشات ميتة ... »

عالم الطفولة ، هو اشياء الطبيعة ، وقد اصبحت علامات تتحول . فالطفولة لا تستعيد نفسها ، انها تستعيد العالم لتعيد صياغته على ايقاعها الخاص . لكنها تستفيق وقد حضنها الموت ، وتوحدت به . فتعمد الى تدمير العلاقات ، وتحاول من داخل منطقة اللغة اعادة اكتشاف عالم جديد .

تأخذ العلاقة باللغة اكثر من جانب : انها تنحني من داخلها ، تنحني للاصوات . فالايقاع الشامل تجري صياغته بهدوء ، اي من عناصره الاولى الحرف ، ومن ثم الكلمة ، فيأخذ التداعي شكله الخارجي ، لكنه يعيد تشكيل صياغاتها من داخل القصيدة . اي في علاقة القصيدة بالشعر . في القصيدة الاولى « اقتلوا روناشتا » يأخذ حرف واحد في اكثرية مقاطع القصيدة ، حجم التفافاتها :

« نامي ايتها الوردة نامي

نامي ايتها المهدورة مثلي في وقتها نامي

مائة ميل ، مئتان هو القلب ، طين بعد المئتين يدوره

الخرافون جرارا ويدورون بها حول تجليات الروح

وروحي باطلة ، نامي » .

في هذا المقطع ، لا بد من ملاحظة امرين : هناك اولا ، كلمة تفتتح المقطع وتنهيه وتتكرر فيه — نامي — التكرار هنا هو محاولة الانطلاق من كلمة في اكثر من امكانية واحدة تفتتحها . وهذه الكلمة تغلق المقطع على نفسه ، لكنها تصله في الوقت نفسه بجسد القصيدة . وهناك ثانيا ، تداع لحرف واحد يلعب دورا اساسيا في المقطع — حرف الراء — الكلمات التي تتداعى من داخل حرف واحد تلعب دور الانعطافات في المقطع ، تدوره . هكذا يأتي التداعي من داخل اللغة نفسها . اي يجري تطويع اللغة من داخل اطاعة تداعياتها، اي منطقها الداخلي . لذلك تحاول القصيدة ان لا تسير خلف هذا المنطق الخطر — التداعي يدفع الى تداع اخر . فتحاول كسره في مسألتي التحجيم ، والابتعاد . التحجيم هنا : هو الحركة الخارجية التي تحدد للتداعي الداخلي اطاراته . لذلك تقسم القصيدة الى مشاهد ولقطات . هنا يبتعد الانسياب عن كونه تقدما عشوائيا للغة تتداعى من داخلها ، بل يقيم لهذه اللغة الفواصل القادرة على اعادة صياغتها من جديد . اما الابتعاد فانه يحاول كسر التداعي اللغوي من داخله ، اي من خلال اعطاء التكرار حجما جديدا ، عبر كلمة تأتي من خارج سياقه ، فتضعه في مدى جديد لتداعيات جديدة .

هذه اللغة ، في انسيابها وحجمها ، هي المنظار